رأي القدس

السنيورة والموقف المسؤول

■ الوحدة الوطنية اللبنانية التي تجلت في انصع صورها ردا على مجزرة قانا جاءت ردا على كل التكهنات، حول وجود انقسامات يمكن ان تهدد باندلاع حرب اهلية في لبنان.

السيد فؤاد السنيورة رئيس وزراء لبنان كان في قمة المسؤولية الوطنية عندما رفض استقبال السيدة كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الامريكية، واشترط وقفا كاملا لاطلاق النار على جدول اعمال اي لقاء مع المسؤولة الامريكية.

الرهان الامريكي ـ الاسرائيلي على عزل المقاومة الاسلامية، وتأليب قطاع من الشعب اللبناني ضدها انهار مع انهيار مبنى الشهداء في بلدة قانا فوق رؤوس الاطفال والعجزة الذين احتموا به من القصف الاسرائيلي، فجاءت القذائف الاسرائيلية لتمزق اجسادهم، ومعها المخططات الامريكية الشريرة في لبنان وربما المنطقة العربية بأسرها.

السيد السنيورة انحاز الى ضميره العربي الاسلامي في مواجهة آلة الدمار الاسرائيلية ـ الامريكية لبلاده، وذهب الى ما هو ابعد من ذلك عندما وجه رسالة تحية وتقدير الى المقاومة الاسلامية وزعيمها السيد حسن نصر الله على صمودها في وجه العدوان الاسرائيلي.

مجزرة قانا ستغير وجه لبنان، مثلما ستغير نتائج الحرب الحالية، لغير صالح التحالف الاسرائيلي ـ الامريكي ـ العربي الرسمي، لانها فضحت النازية الاسرائيلية في ابشع صورها، وكشفت الوجه الحقيقي لها امام العالم بأسره.

ايهود اولمرت رئيس الوزراء الاسرائيلي طلب من السيدة رايس التي زارته امس اسبوعين اضافيين لكي يكمل مهمة جيشه في لبنان، اي انهاء وجود حزب الله العسكري، كمقدمة لانهاء وجوده السياسي، وربما يكون قد حصل على ما يريد، ولكن انجاز المهمة بالمواصفات التي يريدها، عملية غير ممكنة ان لم تكن مستحيلة.

فالقيادة العسكرية الاسرائيلية اخطأت مرتين، في الاولى عندما استهانت بقوة المقاومة الاسلامية واستعداداتها، والثانية عندما وضعت سقفا زمنيا محددا في اسبوع او اثنين على ابعد تقدير. فها هو «حزب الله» يمتص الصدمة، ويبلي بلاء حسنا، ليس فقط في قصف المستوطنات والمدن في العمق الاسرائيلي، وانما ايضا في منع الاجتياح البري الاسرائيلي، والحاق خسائر كبيرة بالقوات الغازية.

ولا بد ان هذه القيادة التي اعماها غرورها وغطرستها عن رؤية الواقع على الارض وتقديره تقديرا سليما، قد ادركت ان الحروب مع العرب، وهنا نتحدث عن المقاومة وليس الانظمة، لم تعد طريقا من اتجاه واحد، كما انها لم تعد حربا قصيرة تنتهي بهزائم ساحقة مثل الحروب السابقة.

الساعات المقبلة ربما تشهد انتقاما مزلزلا لضحايا مجزرة قانا، وربما تشهد ايضا وقفا لاطلاق النار استجابة للهيبة العالمية الغاضبة ضد «الهولوكوست» الاسرائيلي الحالي في لبنان، وفي جميع الاحوال ستتغير قواعد اللعبة، وستخرج المقاومة اللبنانية اقوى واكثر فاعلية واصلب عودا مما كانت عليه قبل العدوان الاسرائيلي.

ولعل التطور الابرز هو التراجع عن فصل مساري التفاوض المستقبلي للافراج عن الاسرى، والعودة الى النهج القديم، وهو الافراج عن اسرى عرب، وليس اللبنانيين فقط، في اي تبادل في هذا الخصوص، الامر الذي يعيد التأكيد مجددا، وبقوة، على الوجه العربي المشرق للبنان.

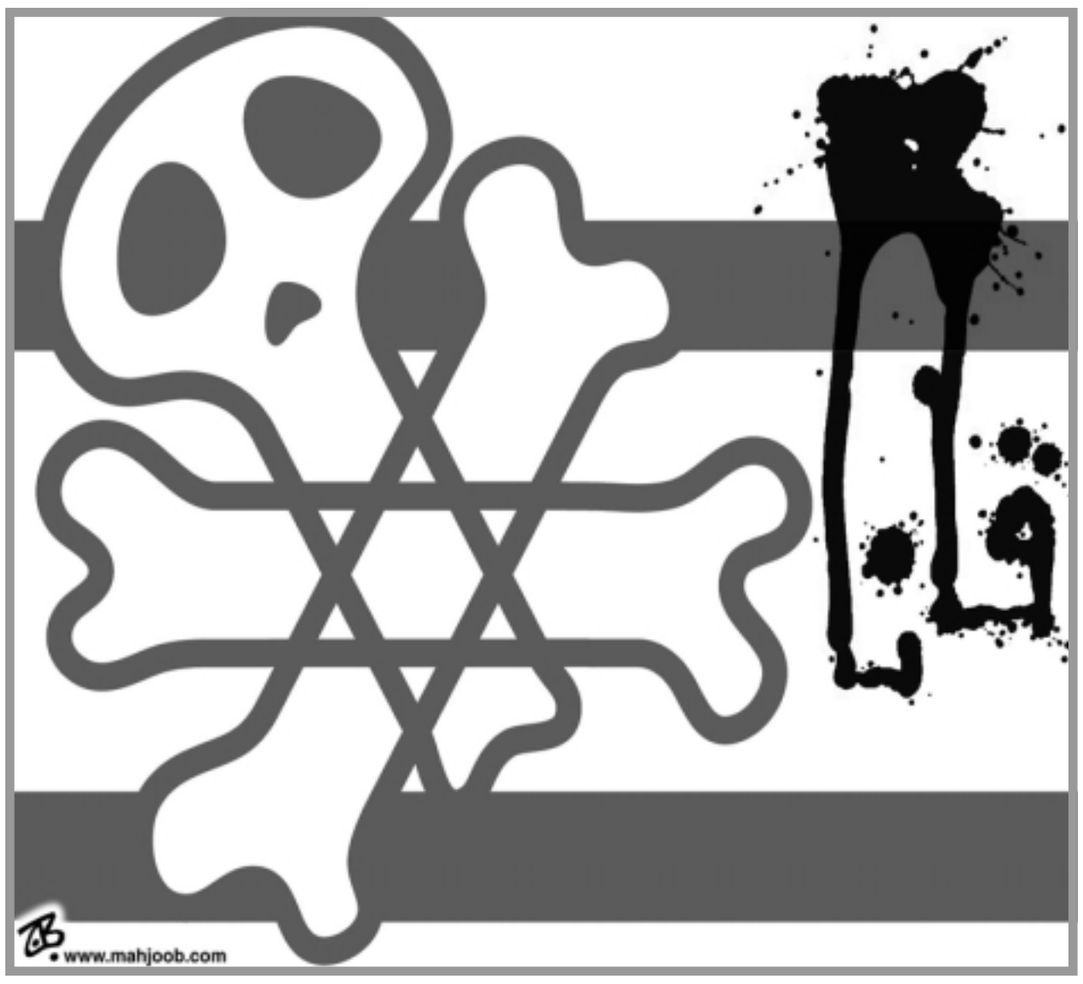

الحرب على لبنان في لحظة الاختراق الاستراتيجي

مخاض لمشروع الشرق الاوسط ام مقبرته؟

مطاع صفدي *

■ ممنوع على المقاومة اللبنانية الباسلة ان تحقق اي نصر مهما تواضع الى مستوى نصر دفاعي فحسب. ذلك هو القرار الحقيقي والباطني الذي اتفق حوله كبار المؤتمرين (المتآمرين؟) الدوليين في روما. فقد صار الوقت اذن لانتظار ذلك النوع الآخر من النصر العدواني الذي ينبغي على المعتدي ان يحققه مهما تطلب الامر من المزيد في التدمير المنهجي، وفي القتل المجاني لثلث الشعب اللبناني وتهجير ثلثه الثاني، واستيعاب ثلثه الثالث في مشروع الشرق الاوسط الجديد.

في (نادي الكبار)، القاعدة الذهبية ألا يخرج احد عن طاعة احد آخر فيه. الكل يتبع الواحد الاكبر وغالبا ليس هناك من هو الاكبر الا لضعف الآخرين. الاتحاد الاوروبي لا يعرف حتى الان كيف يصير ناديا للكبار يخص اعضاءه وذلك الاشتراكي العريق برودي الذي كان المحرك الاول لمؤتمر روما بدفع من الرئيس شيراك، لم يكن طموحا متأملا باجتراح منع القتال بموقف سياسي واحد لكبار اوروبا وفي مواجهة (بومة) بوش ناشرة الشؤم الاسود على العالم لكنه على الاقل كان يريد للمؤتمر ان يمسرح مواقف اولئك الكبار، فارضا عليها التحاور الديمقراطي في علنية كاشفة مكشوفة وفي مركز الرؤية الاعلامية من العالم اجمع، لعله يشجع ضعفاء النادي التقليدي للكبار في الخروج ولو لمرة واحدة على دكتاتورية الامبطرة. وربما تحقق شبه الخروج هذا في اتفاق الكل على استثناء الواحد. لقد قررت بومة بوش ان تنعق وحدها فوق القبور المفتوحة رفضت وقف الموت اللبناني الراهن بالجملة والمفرق لتبشر بالموت المستديم لشعوب العرب ولا سلام تحت يافطة مشروعها الشرق اوسطي الكسيح، لكن القادم لا محالة كما تؤكد صاحبة النعيق الداكن المتنقلة من عاصمة الى اخرى وصولا الى (مؤتمر روما)، الناجح رغم كل شيء باعلان اجماع الكل ضد استثناء الواحد.

نيرون يحرق روما ليثبت انه قادر على الغناء وحده. ما تعلن عنه بومة بوش مجددا انها قررت وادارتها الصهيونية اعلان التملك الكامل من وطن العرب والاسلام تحت هذا اللقب: الشرق الاوسط الذي ابتكرته الامبراطورية البريطانية في اواخر ايامها اواسط الخمسينيات ثم التقطته اللغة الخشبية لاعلام الغرب. محو الاسم العربي يفتح شهية عنصرية متأسسة منذ اعماق التاريخ وتنامي مع الصدوع المتجذرة بين ضفتي البحيرية المتوسطية. من الغزوات الصليبية الى حقبتي الاستعمار القديم والحديث. انها التعويذة السحرية التي تلغي باللفظ وجود الآخر، دافعه المادي واللانساني، وترداد التعوذية كعنوان لمشاريع المؤامرة المطلقة وعبر المفاصل الخطيرة الحاسمة من الحدث السياسي والعسكري، لا يعني سوى استعادة التفكير بان محو الاسم لا بد له يوما من ان يؤدي الى محو المسمى نفسه ومن المؤسف حقا ان تعود السياسة في القرن الواحد والعشرين الى الاختلاط بالسحر والخرافة مرة اخرى. فهذه الهستيريا من النوع الشيطاني بالسيطرة العمياء على اوطان الآخرين بدءا من امتلاك وطن العرب والاسلام لا يمكن تفسيرها علميا على الاقل بأية دوافع استراتيجية مهما تعددت حدود (عقلانية) البطش، بما لها من الامثلة الكثيرة في تاريخ التراجيديا الغربية ازاء بقية العالم. وخاصة في نصفه الجنوبي وقارته العربية الاسلامية تحديدا. يقول لنا ذلك التاريخ ان الاستبداد حين يبلغ حده الاقصى من الطغيان الشامل، فانه يتحول الى كابوس من جنون العظمة الجاهلة لذاتها، لحدود تلك الذات، ويكون صاحبه هو ضحيته الاولى. فيما هو منشغل بتدمير حياة الآخرين فامريكا البوشية لن تستطيع ان تقبل هزيمتها السياسية بهزيمة شريكتها العسكرية على ابواب البلدة الصغيرة (بنت جبيل) وفي ساحاتها وازقتها الداخلية فجاء ردها اولا بمنع مؤتمر روما من بلوغ الغاية من انعقاده في اعلان عن وقف القتال، حتى لا تتمكن المقاومة من الفوز باوضح شهادة واقعية عما تعنيه تجربة الصمود الذكي الشجاع.

ثم اتبعته امريكا بردها الثاني الموصوف بالاستراتيجي بعيد المدى، باعلان ارادوية طاغية مصممة على وضع المشروع الشرق اوسطي موضع التنفيذ العاجل لان الحرب هي بابه الضيق وبدونها لن يكون له منفذ الى خارطة الواقع. فما تريد ان تعلنه بومة بوش فوق اطلال لبنان ان شرقها الاوسط الجديد هو البديل الوحيد المتاح امام العرب جميعا، عن امتداد هذه الاطلال الى كل قطر آخر، قد تستثيره لوثة المانعة اللبنانية القوة الراهنة. «كوندي» كانت على يقين جازم كما في المحيط الدولي والعربي الرسمي ان عدوان اسرائيل لن يستغرق سوى بضعة ايام ليتم الاجهاز على حزب الله. ولذلك اعتبرت ادارة بوش ان هذه الحرب ستكون هي المخاض لولادة مشروعها الخبيث، لكن فشل الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر؟ حتى بعد تمديد امد العدوان الوحشي باحداث اية فجوة صغيرة في سد المانعة البطولية في الجنوب اللبناني، جعل من هذه الحرب مقبرة للمشروع المشؤوم وليس مجرد مخاض مستعص فحسب. فالمانعة اللبنانية في وجه المشروع وحروبه لم تعد سياسية داخلية أمست عسكرية حاسمة ونتائجها موجهة الى اطراف المحيط العربي، كيما تعيد شعوبه حساباتها ازاء كل الاساطير الكاذبة حول دفن الصراع العربي ـ الاسرائيلي. وفرض سلام الاستسلام على قارة العرب والاسلام، تلك هي المرة الاولى التي لا ينتصر فيها العدوان الاسرائيلي المستمر منذ نصف قرن ونيف. وهذه الحقيقة ليست تنظيرية ولا دعاوية والعدو واعوانه في كل مكان يقرون بالمفاجأة (المصيرية) غير المنتظرة.

ليست المفاجأة اللبنانية معجزة الا بالنسبة للذين فقدوا الايمان بقدرات الشعوب عندما تتاح لها بعض الحرية في اعداد دفاعاتها الوطنية. وقد استطاعت المقاومة في لبنان ان تنجو من مختلف الافخاخ الداخلية التي نُصبت لها ما وراء ظهرها. نجحت ببراعة سياسية اولا في جعل الرهان على بقائها واستمراريتها جزءا مركزيا من الرهان على استقلال البلد ككل وديمومة لبنان حرا سيدا، ومتمردا في وقت واحد على عملاء الداخل واعداء الخارج. فمنذ اغتيال الحريري وانسحاب وصاية النظام السوري تساقط لبنان سريعا في حمى من التجاذبات السياسية المحمومة المتناقضة بالدوافع والاهداف بين شتى اطراف الطبقة المتسلطة تقليديا على لبنان ما قبل الوصاية وخلالها وبعدها حتى بات التنافس على وراثة السلطة الفارغة موقفا بالغا اوج الصراعات الحدية حول تقاسم حصص النفوذ والفساد العلني صار استقلال لبنان مهددا من جديد بواحد من الخيارين الحالكين: اما العودة الى مستنقع الاقتتالات الاهلية او الارتماء في حضن الوصاية الامريكية والتعاون المكشوف معها في تشكيل رأس جسر لمشروعها الشرق اوسطي، وهنا خاضت المقاومة معركتها السياسية الاولى وشكلت مع بقية القوى الوطنية سدا منيعا لاحباط كلا الخيارين المشؤومين معا. فكان القرار الامريكي باللجوء الى الحرب وتفويض اسرائيل بوكالتها عنها. وبالطبع لم يدخل لا في التقدير الامريكي ولا الاسرائيلي ان حزبا شعبيا يمكنه ان يقاوم اكبر جبارين متحكمين في المنطقة الفاقدة لقرارها السياسي والعسكري.

لبنان الحر بالرغم من كل نكباته هو البلد العربي الوحيد الذي بدلا من جره واجراره نحو مصارعة الطائفية، بل المذهبية المستحدثة وتحت وطأة الهجمة الامريكية المسعورة واختياره رأس حربة او جسرا لمشروعها الاوسطي، لبنان الجديد هذا يصير قادرا على قلب خارطة القوى رأسا على عقب في المنطقة وبدلا كذلك من ان يغدو اولى ضحاياها في مرحلتها الراهنة.

ذلك هو بدء التأشير على امكان كان في مرتبة المستحيلات. انه علامة الاختراق الجيو عسكري غير المنظور حتى في مستوى الاحتمالات البعيدة، لكنه يدخل كالصاعقة في صميم الاستراتيجيا الدولية وفي جانبها الامبريالي الامبراطوري خاصة ما ان يتمكن حزب لشعب صغير من جعل الجلاد لا ينتصر ولو لمرة واحدة ولا ان يظل هو الضحية المنهزمة دائما، لكن السؤال ينطلق مبدئيا من الخشية على الطريقة التي سيتم فيها استثمار الاختراق لبنانيا عربيا ودوليا. فلا شك ان امريكا واسرائيل لن تناما على (الضيم) وكل منهما سوف يلقي المسؤولية سواء في التخطيط او التنفيذ على الآخر. من الواضح ان يقوم في الصف الاسرائيلي من يصرح بالبراءة من هذه الحرب، على الاقل في الاعداد والتحريض ويسميها باسمها الصريح كحرب امريكية باداة اسرائيلية، كما انه في الجانب العربي سريعا ما تتغير اصطفافات الانظمة، اذ انها محتاجة وجميعها بدون تمييز، الى اعادة تطهير ذيولها امام شعوبها من ارتباطاتها المشبوهة بالعدو التاريخي. الم يحن الوقت لانهاض ثقافة الامن القومي مجددا. ألم يمنح النصر المقاوم الارضية الواقعية لاسقاط اسطورة السلام الكاذب كما اعلن عن ذلك عمرو موسى بلغة استحياء عقب مؤتمر الجامعة الاخير البائس؟

المعركة تنتقل اليوم الى كواليس مجلس الامن. هناك سيعرف العالم مجددا كيف يمكن للامبراطورية (الآفلة؟) متابعة التعمية على انتصارات الشعوب وحرمانها من ثمراتها الانسانية، او انها قد تقهر ولو نسبيا واعتمادا فقط على رأس مال عربي من الانجاز الاستراتيجي هذه المرة قد تستخدمه دول اخرى كبرى كفرنسا وروسيا والصين في تصحيح جذري لموازين القوى داخل مجلس الامن.

ان الانجاز العربي اللبناني لن يحفظ مستقبله اقليميا وقوميا ان لم تحسن هذه الدول توظيفه وتنميته في دحر خرافة الامبراطورية على المستوى العالمي وانطلاقا من المساعدة الحقيقية على اعادة رسم الخارطة (الشرق اوسطية) ضمن سياق المشروع النهضوي العربي الاصلي، وانفتاحه على الدنية الانسية القادمة.

ليس هذا رهانا طوبائيا، لكنه الانجاز العربي الفريد الذي قد يجعل الطوبائيات احيانا تصير من مفردات الواقع الامكاني.

* مفكر عربي مقيم في باريس

المجد للمجانين

منى سلمان *

■ كان يمكن لعرابي أن يكون أكثر حكمة وتعقلا فلا يواجه استبداد الخديوي كما فعل أو يصرخ في وجهه بأننا لسنا تراثا أو عقارا ولن نورث بعد اليوم.

فالحكمة كانت تقتضي أن يكتفي بما وصل إليه ويحمد الله ويقبل يديه ظهر بطن، فهو في النهاية مجرد (فلاح) استطاع في غفلة من الزمان أن يصل لجيش بلاده ويحمل السلاح الى جوار عساكر «الغز»، العقل يقول إنه كان عليه أن يسترخي وينعم بثمرة هذا الحراك الاجتماعي الذي حمله الى طبقة الصفوة، ثم انه على الأقل كان سيتجنب سنوات النفي والسجن والعذاب ناهيك عن التجريس (من الجرسة وهي الفضيحة) الذي لحق به، وتحميله مسؤولية دخول الاحتلال الإنكليزي الى مصر، الأمر الذي لم ينطل على المصريين فظلوا يتوارثون عبارة صارت مثلا وهي «ان الولس كسر عرابي» والولس هو الموالسة والتواطؤ، فما بين طعنة الخلف التي جاءت من الباب العالي بإصدار الخليفة مرسوما بعصيان عرابي، وخيانة قبائل البدو في التل الكبير واستعانة الخديوي بالأسطول الإنكليزي الرابض أمام الإسكندرية في وضع الاستعداد، لم يبتلع المصريون أن وقفة عرابي المطالبة بالكرامة لشعبه هي التي أدخلت الاحتلال الى بلادهم، فالاحتلال كان في طريقه ولم تكن تنقصه الذرائع، لكن ذلك لم يحم عرابي من الوصف الذي أطلقه الذين يرتدون ثياب الحكمة من معاصريه باعتباره مجنونا ومغامرا، (هل تتذكر بعض أسمائهم؟).

ووفقا للحكمة كذلك لم يكن يليق بشيخ في سن عمر المختار أن يضع رأسه برأس جيوش الاحتلال الإيطالي، على الأقل كان سيحتفظ برأسه ليموت في فراشه كما يليق بالشيوخ.

كذلك كان يمكن لأكثر من مليون شهيد دفعوا أعمارهم في الجزائر ثمنا لحرية بلادهم أن يكونوا أكثر تعقلا ويستكينوا في دفء بيوتهم، قانعين بحياة، حتى لم تكن لينة، فهي في النهاية حياة.

وكانت الحكمة أيضا تفرض على شيخ أزهري في وقار علي عبد الرازق ألا يقف في وجه أحلام فؤاد الأول في أن يصبح خليفة للمسلمين بعد سقوط الخلافة في اسطنبول ويؤلف كتابا يدخله في مواجهة مع المؤسسة، على الأقل كان سيحتفظ بتقاعد مريح.

ولم يكن من التعقل على الإطلاق أن يضحي أحمد لطفي السيد بمنصب رئاسة الجامعة العريقة احتجاجا على المساس باستقلال الجامعة المتمثل في إقالة أحد أساتذتها وهو طه حسين، الذي كان عليه بدوره أن يتعقل ويقنع بقدره ليصبح في أفضل تقدير مقرئا كفيفا في المقابر.

وكان ضربا من الجنون بلا شك أن يقف غاليليو في وجه سلطة الكنيسة قائلا بأن الأرض تدور حول نفسها، فماذا كان عليه لو تركها ثابتة في مكانها، أليس الثبات هو أحد مظاهر التعقل؟

أما هؤلاء الذين حلموا بان أصواتنا يمكنها أن تصعد الى السماء في شكل موجات تعود الى الأرض وتسمع في أماكن أخرى من الكرة الأرضية، وان الأوبئة ليست لعنة بل أمراض يمكن مداواتها والشفاء منها، أو أن بلاد واق الواق ليست بعيدة كما تبدو، فهؤلاء لا شك على الإطلاق في جنونهم وأنهم كانوا من الحماقة بحيث لم يستمعوا لأصوات الحكماء من معاصريهم.

وفي الغالب لم يكن من الحكمة أيضا أن أكتب هذه السطور لأوفر على نفسي ما قد تجره من وجع الرأس (علما بان ذلك نوع خفيف جدا من الجنون لا يمكن مقارنته بأي حال بالأمثلة السابقة، لذا وجب التنويه).

السؤال إذا ماذا لو كنا جميعا من الحكماء أو على الأقل نستمع الى أصوات القادة المتحلين بالعقل والحكمة، أنصار الاستمرار والاستقرار والثبات والتبات والنبات (عذرا القافية تحكم)، الذين يحكمون على الفعل ـ أي فعل ـ بالجنون والمغامرة، ما الذي كان يمكن أن يحدث؟

في الغالب وعلى الأرجح وعلى أكثر تقدير.... لا شيء لا شيء على الإطلاق.

فالتاريخ ليس إلا حصاد خطوات من يطلق عليهم السادة مرتدي ثياب الحكمة والعقل مجانين ومغامرين.

فالمجد إذن للمجانين، ولا نامت أعين الحكماء.

* اعلامية وكاتبة من مصر

الشارع السعودي: شكوى العبيد للعبيد

د. مضاوي الرشيد *

■ من المضحك المبكي ان نتابع ما يمكن تسميته بالشارع السعودي المغيب وردود فعله على الهجمة الاسرائيلية على لبنان وغزة. الكل يعرف موقف الصحافة السعودية الرسمية والتي رددت ببغائية معتادة الموقف الرسمي الذي لم يعلن عن شخصه الكريم او ما اطل علينا بوجهه المعروف. الصحافة تعيد اجترار الموقف الرسمي وكأنها ترتل آيات مقدسة وتبتهل الى خالقها بدعاء وهي تركع خاشعة في حلقة ذكر افقدتها وعيها من كثرة الورع والحرص على اعادة صياغة الموقف المسمى بالعقلاني للقيادة الحكيمة والتي تجاوزت فصاحة حسان وحكمة لقمان.

لا يتوقع المراقب لمثل هذه الصحافة اي شطحات او زلات او حتى تلميحات الى رأي آخر وتحليل يتجاوز الآيات المقدسة التي نطقت بها القيادة الحكيمة وليتها لم تنطق. لذلك يجب تجاوز هذه الصحافة كليا في تحليلنا للشارع السعودي وموقفه من المجازر الصهيونية على شعبين عربيين.

رغم ان الجميع في السعودية قد اطلع على موقف الحكومة الواضح والصريح من الازمة. نلاحظ ان الشارع الالكتروني اتسم بتعددية خلت منها الصحافة الرسمية المكتوبة والمرئية. لا يهمنا هنا الشارع السعودي الالكتروني المعارض اذ ان موقفه صريح وواضح من حيث ادانته للموقف المخزي لحكومة خادم الحرمين الشريفين. وقد ظهر هذا الموقف دون مواربة او غطاء بل عكس بكل شفافية مشاعر شريحة كبيرة من المجتمع السعودي وعكس حالة الخيبة التي يشعر بها شباب هذا البلد والاحباطات المهيمنة على اكثريته حيث يحرم هذا الشباب من تلك اللذة التي يشعر بها الشاب من خلال الانخراط بالعمل الجماعي في سبيل خدمة قضية ما وما اكبر من قضيتنا اليوم؟

خلال اسبوع كامل كانت الرسائل الالكترونية والتلفونية التي وصلتنا تعكس حالة الاحباط هذه. شباب ممنوع من ان ينطق بينما نظامه يحتكر النطق بما تشمئز منه الاكثرية الصامتة. اتجه هؤلاء ليس الى شوارع الرياض وجدة العريضة بل خرجوا «يجاهدون» على ثغور «الكي بورد» يصبون جام غضبهم في شارع الكتروني عريض تختلط فيه الوجوه والاسماء ولا تبقى الا كلمات قاسية جارحة تسكب كالرصاص على شاشات الاجهزة الآلية وتنزع الهيبة والشرعية عن نظام سقط في مخططات الغير للمنطقة. يريد هذا النظام حلا عربيا للبنان وهو نفسه يلجأ الى كل الحلول ما عدا العربية عندما يقع في مأزق.

اقلية قليلة تخوض معركة فكرية مع من ينقر على الحاسوب نقرات تبث سموم الفكر الرسمي في فضاء الكتروني فسيح. الفكر الرسمي يرتل ويرد على المشككين في حكمة لقمان الجديدة.

شريحة كبيرة من المدافعين عن هذه العقلانية في موسوعة الفكر العربي الحديث لم يجدوا سوى تبرير الموقف السعودي واعادة صياغته من اجل اقناع الخصوم بأبجديات المؤامرة المسماة اليوم منطق وعقلانية. الملفت للانتباه انه حتى المدافعون بدأوا يصيغون عباراتهم بحذر وحيطة مما يعكس عدم اقتناعهم بالحكمة السعودية. كثير من هؤلاء الحقوا ثناءهم على ولي الامر بتذكير القراء والمتابعين بالخمسين مليون دولار التي سيدفعها النظام السعودي للبنان ككفارة عن الموقف العقلاني الذي تم الاعلان عنه بعد ساعات من الهجمة الاسرائيلية على مدن لبنان وقراه. يتناسى هؤلاء ان من يدفع ثمن التآمر بدقة ليس كمن يكفر عن ذنوبه بأموال النفط.

الكل يعرف ان اناء ولي الامر اناء فارغ لذلك تكثر قرقعته التي لا يسمعها الا حزب الولاة ويقوم الولاة اليوم بحملة مناصرة عالمية لولي الامر من على شاشات «الجزيرة».

مؤخرا استعمل هؤلاء اسلوب التسول ـ وهو اسلوب تعودوا عليه ـ اذ انهم يطالبون ولي امرهم بشيء من التضامن ولو الشكلي مع المصاب العربي والجرح الذي ينزف في لبنان وغزة. ومنهم من يشكي اسرائيل واجرامها المفضوح الى ولي الامر ويستعرض مجازرها طبعا بعد ان يمطروه ليس بمطر صيفي يأتي من طائرات اسرائيلية بل بعبارات التبجيل والثناء والخنوع فينطق عليهم حالة شكوى العبيد للعبيد. عبوديتهم لنظام العقلانية الجديدة قد يشبهها البعض بفكر الحداثة الذي تفجر عالميا منذ اكثر من اربعة قرون. وها هي القيادة السعودية قد قررت ان تنخرط في مشروعه ولو بعد وقت طويل. عقلانية النظام السعودي هي مرآة لعقلانية الغرب. هذه العقلانية هي وحدها مسؤولة اولا واخيرا عن نشوء الفكر الفاشي الذي كان يقتل بعقلانية متسلحة بتكنولوجيا عالية على يد النازية الالمانية التي سخرت كل طاقتها العقلانية في تجسيد فكر الابادة الجماعية والتي ورثتها اسرائيل من الفكر الأم وطبقتها حرفيا دون اي تعديل او تغيير. عقلانية الغرب ايضا هي التي انتجت الاستعمار الذي عرفته المنطقة العربية بالاضافة الى الفكر الشمولي وفكر الانظمة الستالينية. هذه العقلانية التي يتشدق بها النظام السعودي دون ان يعلم ابعادها السياسية والاجتماعية هي ذاتها المسؤولة عن تبلور الفكر العنصري الذي جعل من الرجل الابيض رسولا يحمل الارث العقلاني الى المستوطنات والمستعمرات حيث صُنف البشر الى شرائح وقبائل ومجموعات حسب حجم جماجمها ولون بشرتها وطول اطرافها ووزن ادمغتها. ومن ثم تمت ابادتها بتقنية عالية. لهذه العقلانية مرآة اخرى اسمها ديمقراطية الاقلية التي تهيمن على الاكثرية بحكم كونها اقلية ثرية. باسم هذه العقلانية تباع اسلحة الدمار والقتل لانظمة عربية تقمع شعوبها مستعينة بالتقنية العقلانية الغربية. فويل لشعب الجزيرة من مخاطر تعلم النظام السعودي ابجدية العقلانية والمنطق الغربي. انتظروا اذا ابادة جماعية لكل من خرج عن هذه العقلانية تماما كما حدث للهنود الحمر في امريكا والابوريجني في استراليا وغيرهم كالماو ماو في كينيا ومناطق اخرى من افريقيا.

ستبقى ردود فعل الشارع السعودي الكترونية ولن تخرج من حيز الشبكة العالمية. من يحلم بثورة الشارع السعودي على النظام «العقلاني» الجديد انما يعلل النفس بالآمال. نقول هذا من موقع استقراء طبيعة المجتمع في هذه المنطقة العربية والذي حوله النظام الى حزب ولاة كبير معطل فكريا ومشلول حركيا لا يجد سوى التخفي خلف اسماء مستعارة لينفس عن احتقانه بينما نجد الاكثرية تنخرط بحالة هروب جماعي من واقعها توفره لها اطنان من المخدرات والمسكرات والممارسات الخارجة عن كل عرف وقانون وتقليد. وكذلك حالة هروب جماعية موسمية الى خارج البلاد من اجل استنشاق نسمة حرية بعيدا عن عيون النظام وآذانه. حالات الهروب الجماعية هذه مستشرية في السعودية حتى اصبحت الآلية الوحيدة للتعاطي مع واقع هذا المجتمع المشلول الذي فقد الثقة المتبادلة بين افراده. مشكلة الشباب اليوم وخاصة تلك الفئة الناشطة في الكتابة الالكترونية تتلخص بعدم قدرتهم على تأسيس ارضية للعمل المشترك السياسي والاجتماعي خاصة اذا كان هذا العمل لا ينطلق من منطلق العقلانية السعودية الجديدة.

شبابنا يشكون من انعدام الثقة بين اعضائه كذلك هو فاقد للمؤسسات المستقلة التي تمكنه من العمل الجماعي العلني. عطل النظام السعودي المؤسسات القديمة كمنابر المساجد وحولها الى آلة اعلامية اخرى لدروس التبجيل والدعاء لولي الامر. كذلك حول التركيبة القبلية لهذا المجتمع الى قطيع من المتسولين الذين يستلمون مخصصات شهرية لجهودهم الجبارة في سبيل الاضحاك والتهريج والتسلية في مجالس هذا الامير او ذاك. اصبحت قبائل الجزيرة حاشية متنقلة تصطحب الى رحلات القنص بأنواعها المختلفة من صحارى افغانستان سابقا مرورا بالمغرب والجزائر وانتهاء بالقنص بالبشري على مرتفعات سويسرا وماربيا. هذه حال القبيلة في جزيرة العرب اليوم.

اما الاسلام وهو الثقافة الدينية الطاغية والأهم في هذا المجتمع فقد حوله النظام السعودي الى آلية مهمتها اسلمة الاستبداد عن طريق تفسيرات مرجعيتها ولي الامر وليس الكتاب والسنة مهمتها اتهام المجتمع في عقيدته وادانة ممارساته وتبرئة النظام وتزكية رموزه وتؤمن بالمسك والمسواك اكثر من ايمانها بالدفاع عن الامة. عندما يتهمنا مثقفو العرب بالتخاذل الذي يعزونه دوما الى ما يسمى باسلامنا السعودي المتخلف وقبليتنا المستشرية وثقافة الغنيمة المهيمنة على عقولنا وقلوبنا ونفطنا الذي يعتقدون ان جيوبنا فاضت به هم لا يقرأون التحولات الجذرية التي طرأت والتشويه المستمر و«العقلاني» المنظم الذي تقوم به آلة النظام السعودي السياسية والدينية والاعلامية والاقتصادية كلها تنتج مجتمعا ممسوخا ليس له من حيلة اليوم الا خيارات ثلاثة: ان يفجر نفسه كما تفعل خلايا القاعدة او يفجر شهواته او يعيش حالة كبت فكرية لا تجد وسيلة للتنفيس سوى «الكي بورد» خاصة تلك الاقلية التي انتشلت نفسها من آلة المسخ المستمر منذ اكثر من نصف قرن. لا تتوقعوا اذا انتفاضات قادمة لشباب الجزيرة الا اذا تعرض لهزة فكرية تعيد توازنه ورشده حتى يرى نفسه من منظور آخر لا يعتمد على منظومة شكوى العبيد للعبيد.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364